الموسم

مجلة فصلية مُصوّرة تعنى بالآثار والتراث

مجلة الموسم (العدد 12) – 1991 – 1412

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمّد سعيد الطريحي

شماره ثبت
تاریخ

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ترسل جميع المراسلات والطلبات بإسم صاحب المجلة الى :

المركز الوثائقي لتراث اهل البيت عليهم السلام

اكاديمية الكوفة

هولندا

AL KUFA HOUSE POST BUS 1113
3260 AC OUD - BEIJRLAND
HOLLAND

Shiabooks.net

الاشتراك السنوي للأفراد ٥٠ $ وللمؤسسات ١٠٠ $.

راس الحسين .. وقبره

● الدكتورة سعاد ماهر

قرانا في مجلة (العربي) في العدد (١٥١) ربيع الثاني سنة ١٣٩١هـ يونية سنة ١٩٧١م في باب «انت تسأل ونحن نجيب» سؤالاً لأحد السادة القراء عن مكان استشهاد الحسين بن علي بن ابي طالب رضوان الله عليهما ومكان دفنه . ولما كانت مجلة (العربي) من المجلات الاسلامية ذات الثقافة العالية والانتشار الواسع ، كما ان السؤال عن راس الحسين وقبره من الموضوعات التي تهم جمهور المسلمين على اختلاف مذاهبهم ونحلهم ، وكانت الإجابة عنه في مجلة (العربي) قد اعتمدت على رأي واحد من المؤرخين فقط ، وهو ابن كثير في نفي وجود الرأس الشريف بالقاهرة ، لذلك وجدت لزاماً عليّ ان أجمع ما استطعت من الأقوال والآراء لعلّي أستطيع بعد مناقشتها أن أخرج منها بالقول الراجح .

يكاد يجمع المؤرخون وكتّاب السيرة على أن جسد الحسين رضوان الله عليه دفن مكان مقتله في كربلاء . وقد جاء في كتاب الارشاد للشيخ المفيد ، انه بعد ان اجتزت الراس واخذت الى ابن زياد بالكوفة خرج قوم من بني اسد ، كانوا نزولاً بالغاضرية الى الحسين واصحابه ، فصلوا عليهم ودفنوا الحسين حيث قبره الآن بالحائر ، اي كربلاء ، ودفنوا ابنه علياً عند رجليه وحفروا للشهداء من أهل بيته واصحابه حوله ، ودفنوا العباس بن علي في موضعه الذي قتل فيه على طريق الغاضرية حيث قبره الآن .

أما عن راس الحسين فقد كثرت الأقوال وتضاربت الروايات ، واختلفت كتب السيرة في تحديد مكان وجوده ، ولكن المراجع على اختلافها تكاد تتفق على ان عبد الله بن زياد عني بتجهيز علي بن الحسين ومع من كان معه من الحرم ، ووجه بهم الى يزيد بن معاوية بمدينة دمشق ومعهم راس الحسين ، ثم اختلفت بعد ذلك الروايات في موطن الراس الشريف فمنها ان الراس اعيد الى الجسد بعد اربعين يوماً ودفن معه في كربلاء ومنها انه دفن بالمدينة ومنها انه دفن عند باب الفراديس بدمشق ، وفي رواية ان الراس دفن بمقابر المسلمين في عهد سليمان بن عبد الملك ، ثم نبش القبر بعد ذلك وأخذ منه الراس ونقل الى عسقلان ومنها نقل الى القاهرة في أخر العصر الفاطمي . وتقول رواية انه نقل الى مدينة الرقة واخرى الى حلب ، وقيل ان ابا مسلم الخراساني لما استولى على دمشق نقل الراس الى مرو . وهكذا نرى ان الأماكن التي ذكرت موطناً للراس ثمانية في ثمان مدن هي كربلاء والمدينة ودمشق والقاهرة وعسقلان والرقة وحلب ومرو .

فعن القول بوجود الراس بالمدينة فهناك ما ينقضه بدليل مادي ذكره المسعودي فيما نقلناه عنه ، وهو انه كان يوجد حتى القرن الرابع الهجري رخامة مكتوب عليها العبارة الآتية : الحمد لله مبيد الأمم ومحيي الرمم هذا قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم سيدة نساء العالمين . والحسن بن علي بن أبي طالب وعلي بن الحسين بن علي ومحمد بن علي وجعفر بن محمد رضوان الله عليهم أجمعين . فلو ان الراس كان مدفوناً معهم لما أغفل ذكر اسم سيد الشهداء .

أما قول غالبية الشيعة الامامية الاثني عشرية بأن الراس مدفون مع الجسد في كربلاء فقول لا تؤيده مراجعة الحوادث فمن المستبعد عقلاً أن يعيد يزيد الراس الى كربلاء حتى لا يزيد النار إشتعالاً ، وهو يعلم بأنها لا تزال مركزاً لشيعة الحسين والمؤيدين لمذهبه ، هذا بالاضافة الى ما جاء في أحداث سنة ٢٣٦هـ من أن الخليفة المتوكل أمر (الزيريج) بالمسيرة الى قبر الحسين بن علي رضوان الله عليهما وهدمه . فتناول (الزيريج) مسحاة وهدم أعالي قبر الحسين وانتهى هو ومن معه الى الحفرة وموضع اللحد فلم يروا آثاراً للراس ، وبعيد ان نتصور ان الراس قد بلي في ذلك الوقت المبكر ، إذا لاحظنا ان ارض كربلاء رملية تحتفظ بالعظام لآلاف السنين .

وكذلك القول بوجود الراس برباط مدينة مرو بخراسان ، منقوض من أساسه ، لأن ابا مسلم الخراساني الذي قيل انه نقل الراس من دمشق لما استولى عليها وبنى عليه الرباط بمرو . لم يكن موجوداً بالشام وقت فتحها ، ولأنه من غير المقبول أن يأذن الخليفة عبد الله بن علي بن العباس لمولاه ابا مسلم بنقل الراس الشريف لكي يدفنه بمرو ، ولأن الخليفة نفسه لو ظفر بالراس لأظهره للناس ليزدادوا ـ كما قيل بحق ـ غضباً على بني امية .

وأما القول بأن الراس وضع اول الأمر في خزائن السلاح بمدينة دمشق ففي رأيي انه أقرب الأقوال الى القبول ومسايرة الأحداث للأسباب الآتية :

أولاً : ان مقتل الحسين حدث خطير وله ما بعده ، ولو طيف بالراس في البلاد بقصد التشفي كما ورد في بعض المراجع ، لأدى ذلك بغير شك الى فتنة بل وليس من المستبعد ان يؤدي الى خلع يزيد نفسه ، لأن الناس جميعاً ، حتى اولئك المناصرين ليزيد طمعاً في الكسب المادي ، كانوا يحترمون الحسين ، ويعظمونه في حياته ويستعظمون ما حدث له ويأسفون على تفريطهم في نصرته بعد وفاته . يضاف الى ذلك ان يزيد نفسه ندم على قتله ودمعت عيناه لما وضع الراس بين يديه وقال : ويحكم ، قد كنت ارضى من طاعتكم بدون قتل الحسين ، رحم الله أبا عبد الله ، فكيف مع ذلك يأمر بأن يطاف بالراس في البلاد !

ثانياً : ومن المعقول والمرجح ايضاً ان يكون الراس قد ظل في خزائن السلاح بدمشق حتى ولى سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦هـ فحمل الراس كما ورد في بعض المراجع في تابوت وعطره ثم صلى عليه ودفنه في مقابر المسلمين اي بعد ان هدأت الفتنة ومضى عليها اكثر من ثلاثين عاماً .

اما الرواية التي تقول بوجود الراس بعسقلان ، فيؤخذ عليها ان مرجعاً لم يحدد الوقت الذي نقل فيه الراس اليها ، اللهم إلا تلك الرواية التي تقول بأن الراس قد طيف به في البلاد بأمر يزيد ، فلما وصل الى عسقلان دفن هناك ، وقد بينا فيما تقدم مناقاة هذه الرواية لواقع الحال واستبعدنا أن يصدر ذلك عن يزيد مراعاة لمصلحته الخاصة . وإذا اسقطنا من حسابنا هذه الرواية فكيف جاء الراس الى عسقلان ؟ هناك من يقول بأن القبر الذي بناه سليمان بن عبد الملك للراس نبش بعد ذلك وأخذ منه الراس ونقل في وقت ما الى عسقلان . ونبش القبر قد يكون صحيحاً ، لأنه امر متوقع ولا يبعد حدوثه ، ولكن ما السبب في اختيار مدينة عسقلان بالذات لكي تكون مقر الراس ، وهي مدينة لم تحدثنا كتب التاريخ بأنها كانت مركزاً من مراكز الشيعة ، اللهم إلا إذا أريد ان يكون الراس في مكان قريب من بيت المقدس من جهة ومن جهة اخرى قريب من الساحل حتى يسهل اخراجها من المشرق حيث لاقى الشيعة الشيء الكثير من اضطهاد

الامويين اولاً ثم العباسيين ثانياً ، ونقلها في يسر الى شمال افريقيا وبلاد المغرب حيث اتجه عدد عظيم من الشيعة .

ومهما يكن من امر فقد بان في حكم المؤكد انه لم يكن في القرن الخامس الهجري وجود للرأس في دمشق بل كان في مدينة عسقلان للأسباب الآتية :

أولاً : يؤيد وجود الرأس بعسقلان في العصر الفاطمي نص تاريخي منقوش على منبر المشهد الذي أعاد بناءه بدر الجمالي وأكمله ابنه الأفضل في عصر الخليفة المستنصر بالله الفاطمي ، ولما نقل الرأس الى مصر ، نقل المنبر الخليلي بالقدس والمنبر ما زال موجوداً هناك حتى الآن .

ثانياً : جاء في المقريزي ان المؤرخ ابن المأمون ذكر في حوادث سنة ٥١٦هـ ان الخليفة الفاطمي الآمر باحكام الله أمر باهداء قنديل من ذهب وأخر من فضة الى مشهد الحسين بعسقلان وأهدى اليه الوزير المأمون البطائحي قنديلاً ذهبياً له سلسلة فضية .

ثالثاً : لو كان الراس موجوداً في مكان غير عسقلان سواء في الشام أو خارجها لما عز على خلفاء الدولة الفاطمية الوصول اليه ، وهم كما نعلم من الشيعة الاسماعيلية ، وقوتهم الدينية تعتمد في أكثر ما تعتمد على نسبهم لفاطمة الزهراء . أما قوتهم السياسية فقد فاقت قوة الدولة العباسية ، إذ امتدت الدولة الفاطمية من مصر وبلاد الشام والحجاز واليمن شرقاً الى شمال افريقيا وبلاد المغرب غرباً ، بل انه حدث في عهد الخليفة المستنصر ان نادى البساسيري احد أعوانهم من الشيعة بسقوط الدولة العباسية في بغداد والبصرة وواسط وجميع الأعمال وذكر اسم الخليفة المستنصر الفاطمي على منابرها في خطبة الجمعة وفي هذا اكبر شاهد على تلك القوة .

رابعاً :ذكر عثمان مدوخ في كتاب العدل الشاهد في القرن ١٩ م انه عثر بالقرب من باب الفراديس على طاق مسدود بحجر عليه كتابة تفيد انه مشهد الحسين ، فلما رفع الحجر وجدت الفجوة خالية من الدفن مما يؤيد نقل الرأس منها .

خامساً : جاء في المقريزي ان الصالح طلائع بنى مسجداً لرأس الحسين بعد نقلها من عسقلان خشية استيلاء الفرنجة عليه ، وهو المسجد المعروف بجامع الصالح طلائع خارج باب زويلة (بوابة المتولى الآن) .

سادساً : جاء في كتاب العدل الشاهد في تحقيق المشاهد ان المرحوم عبد الرحمن كتخذا الفزدغلي ، لما أراد توسيع المسجد المجاور للمشهد الحسيني ، قيل له ان هذا المشهد لم يثبت فيه دفن ، فأراد تحقيق ذلك فكشف المشهد الشريف بمحضر من الناس ونزل فيه الاستاذ الجوهري الشافعي والاستاذ الشيخ الملوي المالكي وكانا من كبار العلماء العاملين وشاهدا ما بداخل البرزخ ثم ظهرا وأخبرا بما شاهداه وهو كرسي من الخشب الساج عليه طشت من ذهب فوقه ستار من الحرير الأخضر تحتها كيس من الحرير الأخضر الرقيق داخله الراس الشريف ، فانبنى على اخبارهم تحقيق هذا المشهد وبنى المسجد والمشهد وأوقف عليه أوقافاً يصرف على المسجد من ريعها .

مما تقدم نستطيع ان نقول بوجود رأس بمشهد عسقلان ومن المرجح ان يكون هو راس الحسين رضوان الله عليه ، ونستطيع ان نؤكد في ثقة واطمئنان بأن هذا الراس قد نقل الى مشهد الحسين بالقاهرة . هذا ولا أجد في هذا المقام خيراً من العبارة التي جاءت في المقريزي اختتم بها موضوع الراس الشريف «ولحفظة الآثار وأصحاب الحديث ونقلة الأخبار ، ما إذا طولع وقف منه على المسطور وعلم منه ما هو غير المشهور ، وإنما هذه البركات مشاهدة مرئية وهي بصحة الدعوى مليّة والعمل بالنية» او كما قال سبط الجوزي ، «ففي اي مكان كان راس الحسين أو جسده فهو ساكن في القلوب والضمائر قاطن في الأسرار والخواطر»* .

* منبر الاسلام (القاهرة) ع٦س٢٩ جمادى الثانية ١٣٩١هـ (ص٣٥ ـ ٣٧) مجموعة نسيب مرتضى .